المشافهة واكتساب اللغة

Verbal Act And Language Acquisition

تاريخ الإرسال:2018-04-05 تاريخ القبول: 2018-04-12

الطالب: حمو لبيك

lebikhamou@gmail.com

التخصص: التعليمية

المشرف: الأستاذ الدكتور أمينة طيبي

مخبر تجديد البحث في تعليمية اللغة العربية في المنظومة التربوية في الجزائر

جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس (الجزائر)

الملخص:

تقوم اللغة في مقامها الأول عن المشافهة، باعتبار أن الفعل المشافهاتي أول ما يمارسه الإنسان وهو يتواصل مع العالم الخارجي، فطبيعة الإنسان وفطرته اللغوية تقوم على هذا الفعل اللغوي، و الأهمية نفسها نجدها في العملية التعليمية التعلمية التي تقوم في أساها على فعل التواصل اللغوي القائم على المشافهة. ولقد اتجهت اللسانيات الحديثة بعد دوسوسير إلى الاهتمام بهذا الفعل و التأكيد عليه في إكساب الفرد لمعجمه اللغوي، من هنا كان بحثي يحاول الوقوف على هذه الأهمية من جهة وعلى آليات تنميتها لدى المتعلم الجزائري من جهة أخرى، باعتبار أن أحد أهم إشكاليات تدريس اللغة في المدرسة الجزائرية هي المشافهة وآليات التحكم فيها.

الكلمات المفتاحية: اللغة؛ المشافهة؛ اللسانيات؛ المتعلم؛ المدرسة؛ الازدواجية؛ التعليمية.

Abstract :

The language is mainly built on the verbal act , considering that the verbal action is the first thing practiced by man when he communicates with the outside world, the nature of human innate language based on this linguistic act, and it is the same importance we find in the teaching-learning process that is based on mainly on verbal acts , moreover the modern linguistics started to give great attention to this act after Dessosure and emphasised on it in the person's acquisition of his linguistic lexicon. starting from that principal my research is trying to stand on this importance on one hand and on the mechanisms to develop it within the Algerian learner on the other hand, taking into consideration that the most important problem of language teaching in the Algerian school is the verbal act and the mechanisms to control it .

1. اللغة بين المشافهة والكتابة:

تعد المشافهة الأصل في تعلم اللغة وليس الكتابة، فقد كانت اللغات ولعصور طويلة في شكلها الشفهي دون المكتوب، فمنها ما اندثر قبل وجود الكتابة، ومنها من لم تعرف إلا مشافهة وهي "لا تندرج بالتالي ضمن أي تنظيم

كتابي موضوع، ووجود لغات لا تخضع لأي نظام كتابي، ولا لأي قواعد كتابية، لهو برهان على إمكانية وجود شكل محكي للغة لا يقابله شكل مكتوب"[1].

فالمشافهة أسبق من الكتابة وأشمل منها لأنها تشمل كل بنيات اللغة، وأكثر استعمالا في مختلف مجالات حياة الإنسان[2]، وتعبّر بصورة أوضح عن المعاني والأفكار والانفعالات والمشاعر في حين تعجز الكتابة عن ذلك[3]، "ويجمع المربون على أن الغرض الأهم من تعلم اللغة هو اقتدار التلاميذ على المشافهة والحديث الجيد الصحيح، إذ أن القدرة على هذا النوع من التعبير الشفوي والتفوق فيه يعدان أعلى رتبة من رتب التميز والارتقاء في فروع اللغة الأخرى لأن الفروع وافد له وقنوات تتوافد لتشكيل بنيانه ومحتواه"[4].

والمشافهة شكل من أشكال الاتصال المباشر الذي يحدث بين فردين أو عدة أفراد في مكان وزمان محددين للتعبير عن الأفكار والمواقف بأسلوب واضح ومفهوم يناسب المستوى الذي يوجد فيه، وهي تتم وفق أربع عمليات متزامنة الأولى عقلية وهي الفكرة والثانية لغوية وهي الأسلوب والثالثة صوتية وهي الكلام والنطق والرابعة ملحمية وهي الهيئة.

2. موقف النظريات اللسانية من المشافهة والكتابة:

لقد اهتمت المدرسة البنيوية في أوائل القرن العشرين بلغة المشافهة (المنطوقة) فالبنيويون يرون أنه إذا كان النطق أسبق من الكتابة، فإن الكتابة لا تشكل أساس اللغة، وإنما هي تمثيل للأصوات المنطوقة وفي هذا يقول دوسوسير:"النطق والكتابة نظامان مختلفان من الرموز، سبب وجود الثاني تمثيله للنظام الأول، وموضوع اللسانيات على هذا لا يتمثل في ربط الكلمة المكتوبة بالكلمة المنطوقة، والتي هي نظريا صورة لها، وإلى درجة استلاب دورها الأساسي . إن كل ذلك يسوقنا إلى تولي تمثيل العلامة الصوتية أهمية مساوية إن لم تكن أكثر توليه العلامة ذاتها، كاعتقادنا أنه لمعرفة إنسان ما من الأفضل النظر إلى صورته الشمسية بدل وجهه".[5]

وهكذا فإن البنيويين اتخذوا الشكل المنطوق أساسا لنظريتهم اللسانية، وقدموا اللغة الشفوية على الشكل المكتوب، وحذا حذوهم اللسانيون الأمريكيون حيث يرى بلومفيلد أن:"الشكل المكتوب ليس لغة، ولكنه طريقة لتسجيل اللغة بواسطة إشارات ورموز مرئية.[6]

في حين رأت مدرسة براغ الطبيعة المكملة للشكليين المتلازمين الذين لا ينفصلان، ويسميان إما اللغة والكلام أو بتعبير جاكبسون النظام والرسالة.[7]

3. مراحل النمو اللغوي عند الطفل:

أ. لغة ما قبل المدرسة:

مرحلة ما قبل اللغة: وهي مرحلة تمهيد واستعداد لاكتساب اللغة وتشمل بدورها على ثلاثة أطوار هي طور الصراخ، طور المناغاة، طور التقليد والمحاكاة.

ب. المرحلة اللغوية: ويمكن تقسيمها إلى طورين:

الطور الأول: وهي مرحلة الجمل القصيرة وتكون في العام الثالث، وهو طور تعلم المفردات ويأتي بعد مرحلة ما قبل اللغة، وأول ما يتعلمه من الكلمات في هذه المرحلة هو الأسماء، ثم تأتي بعدها الأفعال، ثم الصفات، بمعنى أن هذا التطور يسير وفق مراحل متتالية ومتدرجة، وفيها يستطيع الطفل أن يكوّن جمل بسيطة تتكون من ثلاث إلى أربع كلمات، وتتسم بالسلامة من الناحية الوظيفية، أي أنها تؤدي المعنى رغم أنها لا تكون صحيحة تماما من ناحية التركيب اللغوي.(8)

الطور الثاني: وهي مرحلة تركيب الجمل الكاملة، وتكون في العام الرابع والخامس وتتكون الجمل من أربع أو ست كلمات، وتتميز بأنها مفيدة تامة الأجزاء وأكثر تعقيدا ودقة في التعبير، وتزداد درجة النضج عند الطفل وتبدأ مرحلة تنمية مهارته اللغوية في البيت أولا ثم في الروضة ثانيا والتربية التحضيرية بعد ذلك.(9)

ويتميز نموه اللغوي في هذه المرحلة العمرية بعدة خصائص نجملها على النحو الآتي:(10)

- قدرة الطفل على الفهم تسبق إلى حد بعيد قدرته على توظيف ما يسمع من الكلمات.
- تكون عيوب الكلام أكثر عرضة للظهور في الوقت الذي يتعلم فيه الطفل الكلام.

للنمو اللغوي في مرحلة ما قبل المدرسة قيمة كبيرة في التعبير عن النفس، والتوافق الشخصي والاجتماعي والنمو العقلي.

- يغلب على لغة الطفل التعلق بالمحسوسات لا المجردات كالوسائط التربوية الهادفة التي تحقق لهم المتعة أثناء التعلم.

وأخيرا يتبين لنا مما سبق أن اكتساب اللغة في مرحلة ما قبل المدرسة ترتكز على مهارة المشافهة المبنية على السماع والمحاكاة والتقليد.

4. لغة المشافهة عند الطفل التعليمية والوظيفية.

تتعدد أنماط استعمال اللغة لدى الفرد الواحد في المجتمع الواحد، حسب طبيعته الاجتماعية وحاجته إلى التواصل مع الغير، وتدور هذه الأنماط في فلك اللغة الأم، وترتبط بها في كثير من الصفات، وفي نفس الوقت تبتعد عنها في صفات أخرى، مما أكسب المتعلم في المدرسة مستويين مختلفين للغة الأم الشفوية.

المستوى الأول: المشافهة اللغوية الراقية –الفصيحة– وهي لغة التعليم والكتابة والمعاملات الرسمية، ويقصد بها اللغة التعليمية التي حظيت منذ القدم باهتمام كبير من النحاة والمربين الذين كانت اهتماماتهم منصبة على لغة التحرير، والخطابة والمحاضرات.

المستوى الثاني: المشافهة اللغوية العفوية التي لا تلتزم بقواعد النحو أو مخارج الأصوات وصفاتها وتكون متأثرة بعوامل إقليمية اجتماعية أو ثقافية.(11) ويقصد بها اللغة الوظيفية.

وقد عرفت اللغة العربية منذ الفصاحة السليقية مستويين في الأداء الشفوي، المستوى المستخف والمستوى المنقبض.[12]

ولغة المشافهة عند المتعلم المراد تعلمها في المدرسة —والتي تتعدى نشاط التعبير الشفوي لتشمل كل الأنشطة المقررة والتي تتميز بالتحول البطيء عبر الزمان – تختلف عن اللغة المتداولة في الخطاب اليومي للمتعلم والتي تتميز بالتحول السريع عبر الزمان والمكان، ما ينتج عنه ازدواجية لغوية في اللغة الواحدة عند المتعلم وتداخل عجيب بين الفصحى والعامية التي يستخدمها كونه:"يتلقى في طفولته الأولى لهجة عامية، ويزود بها في البيت ثم في الشارع والنادي والملعب...، وسائر مصادر الثقافة الشعبية بل إنه يتعلم بعضها أيضا في المدرسة، والمعهد والجامعة، ومن التلفاز، والمذياع، والصحف، ويمارسها في جميع حياته تفكيرا وتعبيرا حتى إذا درس اللغة الفصحى قدمت إليه مثقلة بأوزار العامية وما تحمله من آثار محلية وأعجمية تستبد بفكره ولسانه وقلمه وتغمر تلك الشذرات الفصحى، وتفسد مدلولها وغاياتها التي ترمي إليها".[13]

فازدواجية اللغة عند المتعلم —الفصحى والعامية– وما يترتب عنهما من اختلافات على المستوى الصوتي أو التركيبي أو النحوي أو الدلالي يعيق عملية التواصل الشفوي بين المعلم والمتعلم، وعملية اكتساب اللغة ويتجلى ذلك في مظاهر التردد عند المتعلم والدوران حول فكرة واحدة والتلعثم والتوقف وكثرة الفراغات في الأفكار، وعدم التسلسل في الأفكار، واعتماد لغة هجينة ومختلطة بلغة عامية وقبائلية وأجنبية سواء في مواقف دراسية أو طبيعية، ما يتطلب من المعلم درجة عالية من الالتزام بالقواعد والتسلسل المنطقي للأفكار والصبر لتجاوزها.[14]

5. أهمية اللغة الشفوية في حياة المتعلم التعليمية والوظيفية:

- تعد المشافهة غاية الغايات من تعلم ودراسة اللغة، فهي تتيح للمتعلم القدرة على التعبير والتواصل مع المحيطين به داخل المدرسة وخارجه وتمنحه القدرة على التفاهم معهم.
- تساعد اللغة الشفوية الفرد على الاندماج الاجتماعي وتعمق الروابط الفكرية والثقافية بينه وبين أفراد المجتمع.
- التمكن من التعبير الشفوي يعزز الثقة بالنفس عند المتعلم، في حين العجز فيه يترك آثارا سلبية في نفسيته، واضطرابات تؤدي إلى الانطواء والانعزال عن المجتمع بصفة عامة والمدرسة بصفة خاصة مما ينتج عنه فشل دراسي ثم فشل في حياته العامة.
- التحكم في اللغة الشفوية يسهم في تنمية شخصية الفرد وهويته.
- تمنح اللغة الشفوية المتعلم القدرة على حل المشكلات التعلمية ومواجهة المشكلات النفسية والاجتماعية المعاشة.
- تعد اللغة الشفوية أداة لاختيار كفاءاته الإقناعية والتأثيرية من خلال تسلسل الأفكار ومناسبة الأسلوب والتحكم في قواعد اللغة.
- ترتبط الحياة المهنية للفرد باللغة الشفوية كالاتصالات الهاتفية والمقابلات والاجتماعات في جميع الوظائف.

- تعد اللغة الشفوية الوسيلة الفعالة لتعلم المتعلم جميع العلوم سواء اللغوية منها أو العلوم الأخرى بمختلف تخصصاتها العلمية والأدبية والتكنولوجية المقررة في المناهج التربوية والتي يمكن أن نذكر منها:
  - شرح وتفسير تجارب، وذكر نتائجها.
  - التعليق على جداول ورسوم أو وضعيات ومواقف...
  - التساؤل والإجابة على استفسارات.
  - سرد القصص والروايات، التعبير الحر والموجه.

6. تنمية مهارة المشافهة عند الطفل:

- **تنمية حاسة السمع:**

أكدت كل النظريات التي تناولت قضية اكتساب اللغة مشافهة على أهمية حاسة السمع في تنمية الرصيد اللغوي عند الطفل، لذلك ينبغي على الوالدين أولا ثم المعلمين ثانيا وضع المتعلمين في بيئة تسمح لهم بمحاكاة وتقليد ما يسمعون، وأن " يعنوا بتربية حاسة السمع عند الطفل ووقاية أعضائها من كل مل يعوقها عن أداء وظائفها أداء كاملا، وعلاجها مما عسى أن يكون بها من خلل طبيعي أو مكتسب".(15)

وأكدت اللسانيات أن الطفل يحاكي أو يقلد ما يسمعه من الكبار مشافهة، ولذا "تعد المحاكاة أحد الأساليب المهمة التي يستعملها عند اكتسابه اللغة، فقد أوضحت البحوث العلمية أن ترديد المسموع أسلوب واضح ومميز في التعلم المبكر للغة، وجانب مهم في الاكتساب المبكر لأصواتها".(16)

والذي يعين الطفل على فتق لسانه هو الانغماس الكلي في وسط لغوي عفوي، لأن اللغة تكتسب من خلال تعرض متواصل للكلام الذي يسمعه الطفل من حوله، فيحاول بقدراته الذاتية إتقانه إلى أن يصبح ملكة راسخة فيه، والمتكلم "من العرب حين ملكة اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله وأساليبه في مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولا، ثم يسمع من كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم"(17).

- **التدريبات اللغوية:**

ويقصد بها تمكين الطفل من استعمال أنماط وتراكيب وألفاظ لغوية بشكل صحيح، وذلك بمحاكاة نماذج لغوية سليمة بصورة عرضية وتوظيفها في كلامه.

ويهدف المعلم من تقديم أنشطة التدريبات اللغوية الشفوية للمتعلم على تضييق الهوة بين اللهجة العامية واللغة السليمة عنده، وإثراء رصيده اللغوي بالألفاظ والتراكيب الجديدة وتعويده على التفكير المنظم وتقوية الملاحظة والموازن و الاستنباط وسلامة التعبير عنده.

- **الممارسة والمران بالتكرار والحفظ:**

اللغة تطبع، و التطبع لا يحصل إلا بكثرة الممارسة والتكرار و التدريب ذلك أن " اللسان عضو إذا مرنته مرن، وإذا أهملته خار".[18] والحافظة تهذب اللسان وتمكن الفرد من المقايسة لأنه " على قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظما ونثرا".[19]

الخاتمــة:

لايسعني في ختام هذه الورقة البحثية إلا التأكيد على أن المنطوق من اللغة يظل الأساس في تعلم اللغة واكتسابها، لكون المشافهة تغطي الجزء الأكبر من اللغة الوظيفية لأي مجتمع كان إن لم تكن هي كل اللغة الوظيفية، وهي في التعليم أكثر أهمية إذ انه لا تقوم المفاهيم العلمية ولا تقدم للمتعلم إلا عن طريق الفعل اللغوي الذي تلخصه المشافهة فيما يصطلح على تسميته بالتواصل البيداغوجي، لذلك كانت وجهة اللسانيات الحديثة والمعاصرة اتجاه المنطوق من اللغة بما يشكله من خزان للغة، من هنا وجب التأكيد على إيلاء المشافهة عناية خاصة على مستوى المدرسة والتعليم، لأنها الجزء الأكثر عائقية في تدريس اللغة لدى المتعلم الجزائري الذي يعيش واقعا لغويا متعددا يصعب عليه آليات اكتساب المشافهة بلسان عربي فصيح.

الهوامش:

1. ميشال زكريا، الألسنية، علم اللغات الحديث، مبادئها وأعلامها، بيروت، 1980، ص152.
2. محمد علي الصويكي، التعبير الشفهي – حقيقته واقعه وأهدافه، مهاراته وطرق تدريسه وتقويمه–، ط1، دار الكندي للنشر والتوزيع، 2007، ص12.
3. حلمي خليل، اللغة والطفل، دراسة في ضوء علم اللغة النفسي، دار النهضة العربية، بيروت، 2003، ص30.
4. عبد الفتاح حسن البجّة، أصول تدريس اللغة العربية بين النظرية والممارسة، دار الفكر العربي، عمان، الأردن، 1999، ص293.
5. فرديناند دوسوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي ومجدي النصر، دار النعمان للثقافة، بيروت، ص40.
6. مازن الوعد، دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس، دمشق، 1989، ص77.
7. فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون –دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1993، ص49.
8. محمود عبد الحليم منسي، الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة، إشراف ومراجعة، عزيز حنا داوود، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ص97.
9. محمود عبد الحليم منسي، المرجع نفسه، ص97.
10. عبد الفتاح أبو معال، تنمية الاستعداد اللغوي عند الطفل، دار الشروق، عمان، ط1، 2000، ص65-68.
11. حسن عبد الجليل يوسف، اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة، خصائصها ودورها الحضاري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007، ص120.
12. عبد الرحمان الحاج صالح، اللغة العربية الفصيحة ودورها في المجتمع العربي، مجلة مجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2011، ص13.
13. فخر الدين قباوة، المهارات اللغوية وعروبة اللسان، دار الفكر المعاصر، بيروت (لبنان)، ودار الفكر، دمشق، سورية، ط1، ص112.
14. نازك إبراهيم عبد الفتاح، مشكلات اللغة والتخاطب في ضوء علم اللغة النفسي، 2002، ص220/218.
15. علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، نهضة مصر، 2003، ص229.
16. دوقلاس براون، مبادئ تعلم وتعليم اللغة، ترجمة: إبراهيم القعيد وعبد الشعري، مكتبة العربي لدول الخليج، 1994، ص54.
17. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، بيروت، ط1، 2004، ص630.
18. محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، ج3، ص532.
19. عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المرجع السابق، ص636.